

الأنس والانتفاع بالقرآن

المكان: طهران

الحضور: قراء القرآن الكريم

الزمان: ٣١/٥/١٣٨٨ ش. ١/٩/١٤٣٠ ق. ٢/٠٨/٢٠٠٩ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كانت جلسة جد محببة وطيبة وجيدة. أولاً جلسة القرآن بحد ذاتها - خصوصاً بهذه الألحان الجميلة والأصوات الحسنة - جلسة رائقة للفؤاد. ثانياً أن نبدأ شهر رمضان المبارك بهذه الجلسة المباركة. نتمنى أن يجعلنا الله تعالى وإياكم من أهل القرآن، وتكون حياتنا حياة قرآنية إن شاء الله، ويكون مماتنا أيضاً مماتاً طيباً أوصى به القرآن.

أولاً لقد شهد الأنس بالقرآن وتلاوة القرآن في البلاد نمواً جيداً جداً. هذه التلاوات التي استمعنا لها هنا - وأنا أشكر جميع الإخوة الأعزاء الذين تلوا القرآن هنا وكذلك المبرمجين للجلسة والتلاوات - هي من التلاوات الجيدة جداً. البعض منها بحق ترتقي إلى حدود الضوابط والقواعد المثالية، سواء من حيث الأداء، أو من حيث اللحن، أو من حيث التجويد، أو من حيث ملاحظة المضامين والمفاهيم وتنظيم الأداء بما يتناسب والمضامين والمفاهيم. لقد تقدم

شبابنا إلى الأمام والحمد لله تقدماً جيداً في هذه المناحي. هذه ظاهرة جيدة. وقد قيل مراراً إن هذه الجلسات وهذا التشجيع على التلاوات الجيدة مقدمة لجعل مجتمعنا يأنس بالقرآن الكريم، ويتخلص من البعد عن القرآن الذي ابتلي بلدنا وشعبنا به لسنوات طويلة، ولكي يقترب مجتمعنا من القرآن.. هذا شيء آخذ بالحصول تدريجياً. طبعاً لا تزال المسافة طويلة جداً إلى أن يستثنس شعبنا كله، وشبابنا كلهم، وجميع رجالنا ونسائنا بالقرآن، وإذا حصل الأونس بالقرآن عندئذ سيفسح المجال أمام الإنسان بأن يستفتي القرآن ويطلب كلام القرآن في الميادين الحياتية المختلفة ويستمتع إليه. هذا ما يمكن أن يحصل في ظل الأونس بالقرآن. وإلا فليس بإمكان أي كان أن يفتح القرآن من دون أي استثناس به أو سابقة معرفة به، ويجد فيه بالضرورة ما يصبو إليه، لا، في كثير من الأوقات لا يمدّ القرآن يده، ولا يستطيع القلب التقرب إلى المفاهيم والمعاني القرآنية. لكن إذا كان الأونس بالقرآن أمكن الانتفاع منه. إذن، هذه مقدمات للأونس بالقرآن.

إنني حسب الدارج أقدم بعض التوصيات لقراءنا الأعزاء. وتوصية أخرى أروم ذكرها هذه السنة هي أن هذه الألحان والأطوار الجيدة تحبب القرآن في الأسماع والقلوب وتزيده نفوذاً وتأثيراً. ولكن يمكن أداء هذه الألحان المتنوعة بهذه الأصوات الحسنة على شكلين: أحدهما أن يقرأ الإنسان فقط.. هذا شكل. لدينا بين القراء المصريين المعروفين - وهم كبار القراء - من هو على هذه الشاكلة. هذه مجرد قراءة.. وهي قراءة جيدة وبصوت حسن.. والألحان والإيقاع جيد. والشكل الآخر هو أن يقرأوا القرآن - بهذه الأصوات والألحان والأنغام - بحيث يبعث على خشوع القلوب وتذكيرها بالله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته

زادتهم إيماناً^(١). قراءة تقرب الإنسان إلى حالة الخشوع والتضرع. هذا شكل آخر. هناك من بين القراء المعروفين من هم من هذا النمط. قراءتهم قراءة خاشعة. يجب مراعاة ذلك، خصوصاً من قبلكم أنتم الشباب أصحاب الأصوات الحسنة والحمد لله والتمكّن الجيد من القراءة، وأشعر أنكم على معرفة بمعاني ومفاهيم الآيات التي تقرأونها. لم يكن الأمر هكذا من قبل. لم يكن كذلك في العقد الأول من الثورة. كانت الأصوات جيدة لكنهم لم يكونوا يهتمون غالباً للمعاني والمفاهيم. والحمد لله نجد اليوم أن هذا التقدم قد حصل لدى الشباب. هذه ظاهرة جيدة. ولكن راعوا هذا الجانب أيضاً وخذوه بنظر الاعتبار في ضوابط تلاوتكم حتى يحصل الخشوع. إذا حصل الخشوع حيال الآيات عندئذ يتأثر القلب بالهداية القرآنية. ترون بعض القلوب لا تتأثر مهما قرئ عليها من آيات القرآن والهداية القرآنية. والبعض على العكس: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾^(٢). يجب أن نطلب من الله تعالى أن يجعل قلوبنا من القلوب التي تتأثر وتستلهم الدروس حيال الهداية القرآنية وأصابع التأشير القرآني.

نقرأ الآيات باستمرار ونكررها، ونذكرها لبعضنا، أنتم تذكرونها لي، وأنا أذكرها لكم.. إذن يجب والحال هذه أن تتأثر قلوبنا بهذه المفاهيم. لنفترض مثلاً قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾^(٣)، هذه تعليمة قرآنية بالتالي، وقد

(١) سورة الأنفال، الآية ٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

كررناها دائماً ونقرؤها باستمرار. حينما تنزل هذه الآية الكريمة على قلوبنا كإلهام إلهي - إذا اجتذبتها القلب وهضمها وأخذها وصار على شكلها، وأنصب القلب وانصبت الروح في قلبها - عندئذ ستكون قضية الوحدة قضية أساسية بالنسبة لنا، فلا نفسد الوحدات الوطنية العظيمة لأغراض ومقاصد شخصية. لاحظوا أن الآية تترك أثرها هنا. إذا نزلت آيات القرآن على قلب الإنسان بحيث اجتذبتها القلب وفهمها وتشكلت بشكلها، عندها حينما يقال لنا: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(١) سيكون قبول هذا المفهوم يسيراً علينا. المؤمنون أشداء على الكفار، وليس معنى الشدة أن يسحق الإنسان العدو ويقمعه بالكامل، لا، أحياناً تقتضي الحال القمع، وأحياناً لا تقتضي القمع. ولكن ينبغي على كل حال أن يكون الإنسان شديداً صلباً أمام الأعداء يجب أن لا تكون سواتركم أمام الأعداء هشة حتى لا يستطيعوا النفوذ والتغلغل والتأثير. هذا هو حال المؤمنين أمام الأعداء. وفي المقابل ﴿رحماء بينهم﴾.. يجب أن نكون رحماء وعطوفين فيما بيننا.. ينبغي أن نتحلى بالمرونة في التعامل مع بعضنا. هذا هو أمر القرآن على كل حال، فلماذا لا نعمل به؟ أين هي المشكلة؟ المشكلة تكمن هنا. إذا جعلنا قلوبنا أوعية تستضيف شآبيب رحمة القرآن وأمطار هدايته.. إذا سلّمنا القلوب للقرآن، كانت تلك الأمور سهلة علينا. عندئذ لن تؤدي المقاصد الشخصية، والأغراض الشخصية، والمصالح المادية، وطلب السلطة، وحب المال، والصدقات الخاصة إلى أن ينسى الإنسان هذه التوصية القرآنية والهداية القرآنية، ويفقدها، ويتركها وراء ظهره.

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

فتح المصحف أماناً، والاستماع لآيات القرآن، وقراءتها، يجب أن تأخذ بأيدينا إلى هذه المستويات درجةً درجةً.. هذه هي الحال الصحيحة التي يجب أن نحققها. وهذه هي خصوصية القرآن الكريم هذا الكتاب السماوي. ليس القرآن كباقي الكتب العادية يقرأها الإنسان مرةً واحدةً ثم يسدها ويتركها، لا، إنه كماء الشرب.. كماء الحياة.. يحتاجه الإنسان دائماً. تأثيره تدريجي ويستغرق زمناً ولا نهاية له.. لا نهاية لهداية القرآن. كلما تعلمتم من القرآن أكثر كلما انفتحت أمامكم أبواب، وانفتحت عقد، واتضحت مجهولات، هكذا هو القرآن. لذلك ينبغي قراءة القرآن دوماً. والوسيلة لذلك هو أن يكون لنا أنسنا بالقرآن. ليقراً شبابنا القرآن بأصوات حسنة وألحان جيدة ويراعوا فيه الجوانب المختلفة، وكما ألمحت، ليجعلوا الخشوع من العناصر البناءة في التلاوة.

ربنا أحينا بالقرآن وأمتنا بالقرآن واحشرونا مع القرآن. ربنا أجعل قلوبنا مستقبلةً للهداية والمعرفة القرآنية، واجعلنا من أهل التوحيد. اللهم بحق محمد وآل محمد اجعل شهر رمضان هذا مباركاً على شعبنا وعلى الأمة الإسلامية. اللهم زد يوماً بعد يوم من انتشار القرآن وشياعه وتداوله بين الأمة الإسلامية. اللهم اشمل الماضين منا برحمتك ومغفرتك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته